Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 14 | Issue 3 Article 4

7-4-2018

أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر The basics of calling to Allah inlight of "Surat Al-Muddathar"

Abdullah Ahmad Azzyout
Jordan University, dr.alzyuot@gmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Azzyout, Abdullah Ahmad (2018) "أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر The basics of calling to Allah inlight of "Surat Al-Muddathar"," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 14: Iss. 3, Article 4.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر

د. عبد الله أحمد الزيوت*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/٧/١٧م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٧/١٠/١م

ملخص

تتناول هذه الدراسة أسس الدعوة إلى الله تعالى في ضوء صدر سورة المدثر، وذلك بهدف الوقوف على معنى أسس الدعوة مفردًا ومركبًا، وتحقيق زمان نزول آيات صدر السورة، والكشف عن أسس الاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى التي تضمنتها.

وقد أظهرت الدراسة أن المراد بأسس الدعوة الأصول المعنوية التي بُنيت عليها الإمالة بالناس إلى الإسلام وحثهم على تعلُّمه وتعليمه وتطبيقه في واقع حياتهم، وأن آيات صدر سورة العلق أول ما نزل من أوامر التبليغ والإنذار، وأن أسس الدعوة التي تضمنتها تلك الآيات تنحصر في القيام بالدعوة بغاية الجد والاجتهاد، واستشعار عظمة الله تعالى، والاهتمام بجمال المظهر وحُسن المَخبَر، ومواصلة العمل الدعوي، ثمّ الصبر ابتغاء مرضاة الله تعالى.

الكلمات الدالة: الدعوة إلى الله تعالى، سورة المدثر، أسس الدعوة إلى الله.

Abstract

This study shows the basics of calling to Allah in light of "Surat Al Muddather", and this is to focus on the meaning of the basics of calling to Allah; each of them separately from the other. Also, to assure the time of the coming down of the head of "Surat AlMuddather", and to discover the basics of being wrapped up with calling to Allah which is included in Surat Almuddather.

The study also showed that the meaning of the basics of calling to Allah is the moral basics which attract people to Islam and make them learn, teach and apply it in their real life. Additionally, the head of "Surat Alala" verses are the first verses of the recommendation of calling to Allah which came down, and the basics of calling to Allah that was included in the verses mainly talk about calling to Allah withe the purpose of working hard, feeling the greatness of Allah, taking care of the beauty of the outward shape and the inward essence, continuing the work of calling to Allah and having patience mainly to satisfy Allah.

المقدمة.

الحمد لله الذي نَزَّلَ الْفُرْقانَ على عبده ليكون للعالمِينَ نذيرًا، وجعل الداعي إليه أحسن الناس قولاً وأفضلهم عملاً، والصلاة والسلام مَنْ أكرمه ربُّه بالرسالة وجعله شاهدًا ومُبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى مَن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى مهمة الأنبياء والمرسلين، وسبيل أتباع النبي الكريم ﷺ وهي أساس من أسس انتشار الإسلام الذي أكمله الله تعالى وأتم به النِّعم ورضيه للناس دينًا، وهي سبب هداية الناس، وطريق فلاحهم وسعادتهم في الدارين ...

* أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

بها تتحقق الخيرية لهذه الأمة، وتَعمُ الرحمة، ويسود العدل، وينتشر الأمن والأمان.

ولأهمية الدعوة إلى الله ودورها في تحقيق الحكمة من خلق الإنس والجن، وهي عبادة الله تعالى بيّن القرآن الكريم دعوة الأنبياء إلى الله تعالى، وذكر سيرتهم وجهدهم، ووصف معاناتهم في دعوة أقوامهم وإبلاغهم دين الله تعالى؛ ليكونوا قدوة حسنة للدعاة من بعدهم.

ولا شك أن الدعوة في هذا الزمان تمر بمرحلة صعبة، وتعاني من مشكلات عديدة، منها تكالب الأعداء الذين يسعون إلى تشويه صورتها وإثارة الشبهات حولها ومحاصرة نشاطها، ومنها ما يتعلق ببعض الدعاة أو المنتسبين إليهم من حيث ضيق أفق بعضهم، أو جهله أو سوء فهمه أو شدّة أسلوبه.

ولما كانت الحاجة إلى الدعوة مُلحة، وتشتد في هذا العصر؛ بسبب نشاط دعاة الشّر والفساد واستخدامهم الوسائل المختلفة والأساليب المتعددة، وكانت بعثة النبي ﷺ وأمره بالتبليغ والإنذار في ظروف مشابهة –إلى حدٍّ ما– وأحوال مقاربة لحال العالم اليوم، وكانت آيات صدر سورة المدثّر أول أمر للنبي ﷺ؛ لينهض بعبء ما كُلِّف به من تبليغ رسلات ربّه جاءت هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما الأسس التي قامت عليها الدعوة إلى الله في صدر سورة المدثّر؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

١- ما المراد بأسس الدعوة مفردًا ومركبًا؟ وما المحور الذي تدور حوله سورة المدثّر؟

٢- ما أسس الدعوة التي تضمنها صدر سورة المدثر، والتي ينبغي على الداعية أن يعتمدها في دعوته؟

أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١- الوقوف على معنى أسس الدعوة مفردًا ومركبًا، ومحاولة التحقيق في نزول سورة المدثر.

٢- إبراز أسس الاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى التي تضمنتها آيات صدر سورة المدّثّر.

أهمية الدراسة.

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال ارتباطها المباشر بكتاب الله تعالى، ومن خلال الآتي:

١- إن الوقوف على المعنى الحقيقي لأسس الدعوة إلى الله، وإبراز هذه الأسس في ضوء آيات صدر سورة المدّثّر، يفيد طلبة الدعاة إلى الله تعالى خاصة، وطلبة العلم عامة.

٢- إن هذا الموضوع لم يحظ –فيما اطلعت عليه– بدراسة علمية مستقلة ولذلك أرجو أن أقدم إلى المكتبة الإسلامية إضافة علمية ولو يسيرة في هذا المجال.

الدراسات السابقة.

لم يحظ هذا الموضوع –فيما اطلعت عليه– بدراسة علمية مستقلة، غير أنني وجدت للمفسرين عند تفسيرهم للآيات

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4

أقوالاً مبثوثة في تفاسيرهم لها صلة وثيقة بهذا الموضوع.

منهج الدراسة.

اقتضت طبيعة هذه الدراسة اعتماد المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي؛ وذلك لجمع المادة العلمية من مضانها المختلفة.

٢- المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال تحليل عنوان الدراسة وتحليل أقوال العلماء من المفسرين وغيرهم، والمقارنة بينها، وبيان ما يترتب عليها من استنتاجات ترتبط بذات الموضوع.

٣- المنهج الوصفي، وذلك بتقسيم الدراسة إلى مطالب؛ لسبر أغوار الموضوع بما ينسجم مع مفرداته، ويُجيب عن مشكلة الدراسة وأهدافها.

خطة الدراسة.

اقتضت طبيعة هذه الدراسة العلمية أن تُقسَّم إلى: مقدمة، ومطلبين، وخاتمة:

المقدمة: وتضمنت مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، والمنهج المُتبع فيها.

المطلب الأول: التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

المطلب الثاني: أسس الاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

المطلب الأول: التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

المسألة الأولى: معنى أسس الدعوة مفردًا ومركبًا.

أولاً: معنى الأسس:

الأُسُس لغة: جمع أساس، وهو مشتق من (أَسس)، وهذه المادة من الهمزة والسين تدلّ على الأصل والشيء الوطيد الثابت"[١]، فالأُسُّ والأَسَس والأَساس: أصلُ كلّ شيءٍ ومبدؤه، يُقَال: هُوَ الأُس والأساس لأصل البِناء، وأُسُّ الْبِنَاءِ: مُبْتَدَؤُه، وجَمْعُ الأساس: أُسُس، وجَمْعُ الأُسِّ إساس، وَقَدْ أَسَّ البناءَ يَؤُسُّه أَسًّا وأَسَّسَه تأْسيسًا، وأَسَّسْت دَارًا إِذا بَنَيْتَ حُدُودَهَا وَرَفَعْتَ من قَوَاعِدِهَا[٢].

وعلى هذا فمادة (أسس) في اللغة تستعمل للدلالة على الأصل الذي يبتني عليه الشيء، سواءٌ أكان هذا الشيء حسيًّا أم معنويًّا، قال السمين الحلبي: "الأساسُ: أصلُ الشيءِ الذي يُبنَى عليه ذلك الشيءُ. ومنه أسُّ البناءِ... ويُستعارُ ذلك في المعاني، فيقالُ: أسَّسَ أمرَهُ على خيرٍ أو شرّ، قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ**﴾[التوبة: ١٠٩]"[٣]. فتأسيس البناء على التقوى أمر معنوي، وفي هذا دلالة على أن هذا اللفظ –أسس– يُستعمل في الحقيقة ويُستعمل في المجاز، ولكن يبقى الأساس متقدمًا على البناء في الرتبة والزمان، وقد قالوا: " الأساس أولاً ثم البناء"[٤].

ثانيًا: معنى الدعوة:

الدعوة لغة: مصدر الفعل دعا، يقال: دَعا يَدْعُو دَعْوَة، وهو مشتق من (دَ عَ وَ)، وهذه المادة تدل في أصل الوضع على النداء إلى شيء والحث عليه، قال ابن فارس: "الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ

Published by Arab Journals Platform, 2018

وكلامٍ يكون منك"[٥]، يقال: ودَعَوْت فُلَانًا؛ أَي: صِحْت بِهِ واسْتَدْعَيْته، ويقال: دَعا فلانٌ الرجلَ دَعْوًا ودُعَاءً؛ أي: نَادَاهُ، وَالِاسْمُ الدَّعْوَة. والدُّعَاةُ: قومٌ يَدْعُونَ إِلَى بيعَة هدى أَو ضلالَةً، واحدُهم دَاعٍ. وَرَجُلٌ داعِيَةٌ والهاء فيه للمبالغة؛ إِذَا كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى بِدْعة أَو دينٍ، والنبي ﷺ دَاعي الله تعالى[٦]، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾**[الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وللدعوة اصطلاحًا تعريفات عدة تدور حول تبليغ الإسلام للناس كافة، فمثلاً عرفها ابن تيمية بقوله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا"[٧]. وعُرِّفت بأنها" البيان والتبليغ لهذا الدين أصولاً، وأركانًا، وتكاليفًا، والحث عليه، والترغيب فيه"[٨]. والمدقق في التعريفين يجد أن الدعوة فيهما مقتصرة على البيان والتبليغ للإسلام.

وقد ذكر البيانوني تعريفات عدة للدعوة، وعقّب على كل منها بما يناسبه، ثم عرّفها بقوله: "هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[٩]. والمتأمل في هذا التعريف يجد أن الدعوة فيه غير مقتصرة على تبليغ الإسلام للناس، بل تشمل تعليمهم الإسلام وتربيتهم على الالتزام بتعاليمه في واقع حياتهم.

وبعد النظر في المعنى اللغوي والاصطلاحي للدعوة يمكن أعرِّف الدعوة فأقول: هي الإمالة بالناس إلى الدين الإسلامي، وتعليمهم إيّاه، وتربيتهم على الالتزام به.

وبهذا تكون الدعوة غير مُقتصرة على الفكرة التي يدعو الداعي إليها، فهي ليست مجرد تبليغ، وليست محصورة –خاصة في هذا العصر ـ في غير المسلمين، بل تشمل تبليغ الإسلام لغير المسلمين وإمالتهم إليه وتعليمهم إيّاه، وتشمل تعليم الإسلام للمسلمين وإمالة العُصاة منهم إلى التوبة، وحثهم على الالتزام به حياتهم. وهكذا كانت دعوة النبي ﷺ، تبليغ، وتعليم، وتطبيق عملي، ففي شأن التبليغ قال تعالى: **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾**[المائدة: ٩٩]، فالآية دالة على أن دعوة النبي ﷺ

كانت تبليغ ما كلفه الله تعالى بتبليغه إلى الناس، وأن هدايتهم أو ضلالهم بيد الله تعالى. وفي شأن البيان والتعليم قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[النحل: ٤٤]، فالآية دالة على أن دعوة النبي ﷺ تبيّنٌ للقرآن الكريم وتوضيح له، وقال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**[الجمعة: ٢]، فهذه الآية تُشير إلى أن دعوة النبي ﷺ تبليغ، وتزكية، وتعليم، قال ابن عاشور ما مفاده: ابتدئ بالتلاوة؛ لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وثنّى بالتزكية؛ لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرِّجس المعنوي وهو الشرك، وما يتعلق به من مساوئ الأعمال والأخلاق، وعقّب بذكر تعليمهم الكتاب؛ لأن الكتاب بعد إبلاغه إليهم تَبيَّنَ لهم مقاصده ومعانيه وحقائقه وأحكامه[١٠].

ثالثًا: معنى أسس الدعوة مُركبًا:

بعد بيان المراد بكلٍّ من الأسس، والدعوة، يمكن القول: إن أسس الدعوة إلى الله: هي الأصول المعنوية التي بُنيت عليها الإمالة بالناس إلى الإسلام وحثهم على تعلُّمه وتعليمه وتطبيقه في واقع حياتهم.

<u>المسألة الثانية: شخصية سورة المدثر ونزولها.</u>

أولاً: شخصية سورة المدثر ومحورها الرئيس:

سورة المدثر هي السّورة الرابعة والسبعون في ترتيب المصحف جاءت بعد سورة (المزمل) وقبل سورة (القيامة)، وليس لها اسم آخر إلا هذا الاسم، وقد جاءت تسميتها به في كلام ابن عباس وابن الزبير ﷺ، فقد نُقل عن ابن عباس قولهَ: نزلت

سُورَة المدثر بِمَكَّة، ونُقل عَن ابْن الزبير مثله[١١]، وقال ابن عاشور: "وكذلك سُمِّيَتْ في المصاحف التي رأَيْنَاها ومنها كُتُبٌ فِي الْقَيْرَوَانَ في القرن الخامس"[١٢].

وهي من السور المكية، وقد حكى غير واحدٍ من المفسرين الاتفاق على ذلك[١٣]، وتتشابه هذه السورة مع السورة التي قبلها –سورة المزمل– في افتتاح كلٍّ منهما بمخاطبة النبي ﷺ بوصفٍ من أوصافه، وفي تكليفه ﷺ بأعباء الدعوة وتبليغ الرسالة التي شرفه الله بها[١٤]؛ فالمحور الرئيس الذي تدور حوله السورة السابقة هو الإعداد الروحي للقيام بالدعوة، والمحور الرئيس الذي تدور حوله هذه السورة هو الإنذار والخطة العملية؛ للصّدع به، فقد جاء فيها" أَمر النبي ﷺ بدعوة الخَلْق إِلى الإيمان، وتقرير صعوبة القيامة على الكفَّار وأَهل العصيان، وتهديد الوليد بن المُغيرة بنقض القرآن، وبيان عدد زبانية النِّيران، وأَنَّ كلّ أَحد رَهْن بالإساءَة والإحسان، وملامة الكفَّار على إعراضهم عن الإيمان، وذكر وَعْد الكريم على التقوى بالرّحمة والغفران، في قوله: **﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾**[المدثر: ٥٦]"[١٥]، يقول البقاعي: مقصودها: "الجد والاجتهاد في الإنذار، بدار البوار، لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجار، والإشارة بالبشارة لأهل الأذكار بحكم العزيز الغفار، واسمها (المدثِّر) أدل ما فيها على ذلك. وذلك واضحٌ لمن تأمل النداء والمنادى به والسبب"[١٦].

ولصاحب الظلال نظرة عميقة شمولية لمحور هذه السورة وشخصيتها الخاصة، واتصال مقاطعها ببعضها بعضاً، فقد ذكر أن هذه السورة تضمنت في مطلعها النداء العلوي بانتداب النبي ﷺ لهذا الأمر الجلل وانتزاعه من النوم والتدثُّر والدفء إلى الجهاد والكفاح والمشقة، مع توجيهه ﷺ إلى التهيؤ لهذا الأمر العظيم، وبيان ما يُعينه عليه.

وتضمنت كذلك تهديدًا ووعيدًا للمكذبين بالآخرة، وبحرب الله المباشرة. وأنها تُعيِّن أحد المكذبين بصفته، وترسم مشهدًا من مشاهد كيده –الوليد بن المغيرة– وتذكر سبب حرب الله ﷻ له، ثم تذكر مصيره، ثمّ تحدثت السورة عن عالم الغيب، ووصف سقر، والملائكة القائمين عليها، وعددهم وامتحان الله لعباده بذلك العدد، ويأتي بعدها الحديث عن مشاهد كونية تأخذ القلوب والألباب[١٧].

ثم تتحدث عن مقام المجرمين المعاندين المُعادين للدعوة، وتُبين اعترافهم بأسباب استحقاقهم للارتهان والقيد يوم القيامة، وعدم انتفاعهم في ذلك اليوم بشفاعة الشافعين، وتتحدث في مقابل ذلك عن منزلة أصحاب اليمين الذين استجابوا للدعوة، والتزموا بمضمونها، يقول صاحب الظلال: "وفي ظل هذا المشهد المخزي، والاعتراف المهين، يتساءل مستنكرًا موقف المكذبين من الدعوة إلى التذكرة والنجاة من هذا المصير، ويرسم لهم مشهدًا ساخرًا يثير الضحك والزراية من نفارهم الحيواني الشموس: **﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾**[المدثر: ٤٩–٥١]!"[١٨].

ثم يُبين السياق أن الذي منعهم من الاستجابة لصوت الداعية الناصح هو الحسد للنبي ﷺ وقلة التقوى.

وعن المقطع الأخير في السورة يقول سيد قطب: "وفي الختام يجيء التقرير الجازم الذي لا مجاملة فيه: **﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ﴾**[المدثر: ٥٤–٥٥]، ورد الأمر كله إلى مشيئة الله وقدره: **﴿وَما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾**[المدثر: ٥٦]"[١٩].

وبعد كل ذلك يُعقّب –رحمه الله– قائلاً: "وهكذا تمثل السورة حلقة من حلقات الكفاح النفسي الذي كافحه القرآن للجاهلية وتصوراتها في قلوب قريش كما كافح العناد والكيد والإعراض الناشئ عن العمد والقصد بشتى الأساليب"[٢٠].

ثم يختم بذكر وجه اتصال مقاطع السورة مع بعضها بعضاً فيقول: "وهذه السورة قصيرة الآيات، سريعة الجريان، منوعة الفواصل والقوافي، يتئد إيقاعها أحيانًا، ويجري لاهثًا أحيانا! وبخاصة عند تصوير مشهد هذا المكذب وهو يفكر ويقدر

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

ويعبس ويبسر ... وتصوير مشهد سقر. لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ.. ومشهد فرارهم كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ!

وهذا التنوع في الإيقاع والقافية بتنوع المشاهد والظلال يجعل للسورة مذاقًا خاصًا ولا سيما عند رد بعض القوافي ورجعها بعد انتهائها كقافية الراء الساكنة: الْمُدَّثِّرُ. أَنْذِرْ. فَكَبِّرْ.. وعودتها بعد فترة: قَدَّر. بَسَرَ. اسْتَكْبَرَ. سَقَر... وكذلك الانتقال من قافية إلى قافية في الفقرة الواحدة مفاجأة ولكن لهدف خاص. عند قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر: ٤٩-٥١]، ففي الآية الأولى كان يسأل ويستنكر. وفي الثانية والثالثة كان يصور ويسخر! وهكذا"[٢١].

وفذلكة القول أن موضوع سورة المدثِّر ومحورها الرئيس هو الإنذار؛ من حيث الأمر بالصدع به وما يُعين على القيام به خير قيام، ومن حيث ما فيها من آيات رسمت مشهدًا من مشاهد الذين واجهوا الدعوة بالتكذيب والإعراض، أو أشارت إلى بعض صفات المكذبين المعرضين عن الإنذار ممن استحقوا عذاب النار، وصفات المنتفعين بالإنذار من أهل الجنة، وآيات تُرغب بقبول الإنذار وتحضُّ عليه.

ثانيًا: التحقيق في نزول صدر سورة المدثر:

إن تحديد زمان نزول صدر السورة الكريمة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحديث عن أسس الدعوة، حيث إنه يكشف عن المبادئ الأساسية التي انطلق منها النبي ﷺ في دعوته، والتي ينبغي على الداعية أن يعتمدها إذا ما أراد النجاح في دعوته.

فقد ذُكر في نزولها صدر سورة المدثر روايات عدة، منها: أنها أول السور القرآنية نزولاً، ففي الصحيحين عن سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قُلْتُ: أَوِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قَالَ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الرسول ﷺ: "جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[المدثر: ١-٣][٢٢].

ومنها أنها أول ما نزل من القرآن بعد صدر سورة العلق، ففي الصحيحين عن عائشة قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ الرسول ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ـ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ٥] فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ"[٢٣].

قال الإمام النووي عن القول بأنَّ أَوَّل مَا أُنْزِلَ قَوْله تَعَالَى: ﴿يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّر﴾[المدثر: ١]: "ضعيف بل باطل، والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] كما صرح به في حديث عائشة، وأما ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١] فكان نزولها بعد فترة الوحي"[٢٤]. وقد أشار ابن كثير إلى أن جابر خالف الجمهور، ثم قال بنحو قول الإمام النووي[٢٥].

وأورد الزركشي في برهانه الحديثين السابقين ثم قال ما ملخصه: جمع بعضهم بينهما بأن جابرًا سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي، فسمع آخرها، ولم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما نزلت، وليس كذلك، بل أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: ١] بغار حِراء، فلما رجع إلى خديجة -رضي الله عنها- وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة:

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4 6

﴿يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١][٢٦].

ثم نقل عن القاضي أبو بكر قوله في الجمع بين الأقوال: "وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] وأول ما نزل من أوامر التبليغ: ﴿يَا أَيّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١]. وقيل: أول ما نزل للرسالة: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١]، وللنبوة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] فإن العلماء قالوا: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] دال على نبوة محمد ﷺ؛ لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان المَلَك بتكليف خاص، وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] دليل على رسالته ﷺ؛ لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان المَلَك بتكليف عام"[٢٧].

وذكر علامة الرافدين الآلوسي الخلاف في أول ما نزل من القرآن الكريم، وأورد قول الإمام النووي السابق في موضعين من تفسيره ورجحه، وقال في موضع ثالث ما نصه: "وهو الذي ذهب إليه أكثر الأمة حتى قال بعضهم هو الصحيح"[٢٨].

وعلى ما تقدم يمكن القول إن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو صدر سورة العلق، وأن صدر سورة المدثر هو ثاني ما نزل بعده، وأول ما نزل بعد فترة الوحي، وأول ما نزل من أوامر التبليغ والإنذار، وهذا الأمر يكاد يكون متفقًا عليه عند أهل العلم؛ لصحة الرواية وصراحتها في ذلك، ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه ﷺ قال وَهُوَ يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوحي، قَالَ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَفَرِقْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، فَدَثَّرُوهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر: ١-٥]، -قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَهِيَ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ- قَالَ: "ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ"[٢٩].

وقد ذكر الإمام النووي أن في قوله: "وَهُوَ يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوحي"، وفي إخبار النبي ﷺ أن الملك الذي جاءَه بحراء جالس على كرسي دلالة صريحة على أن هذه القصة كانت بعد نزول صدر سورة العلق، وأن صدر سور المدثر أول ما نزل بعد فترة الوحي[٣٠].

فقد بان مما سبق، أن صدر سورة المدثر أول ما نزل على قلب النبي ﷺ من أوامر التبليغ والإنذار، ولذلك يمكن القول إن الأسس التي تضمنتها آيات صدر سورة المدثر هي الأسس التي قامت عليها الدعوة الإسلامية، وإن عُمْرها من عمر هذه الدعوة؛ فهي المنهج الأصيل الذي لا يتبدل تأخر الزمان أو تقدم.

المطلب الثاني: أسس الاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى.

إن أول ما نزل من الأوامر المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى هو صدر سورة المدثر، وهذه الآيات هي مبدأ الرسالة النبوية، وقد اشتملت على الأسس التي ينطلق منها الداعية ويتحرك بها في دعوته إلى الله، وفيما يلي بيان هذه الأسس وتوضيحها:

أولاً: القيام بالدعوة بغاية الجد والاجتهاد.

الأساس الأول من أسس الاشتغال بالدعوة التخلي عن الدثار المادي والمعنوي، والعزم والتصميم على المضي قُدُمًا في الدعوة، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[المدثر: ١-٢]، فقد بدأت السورة بنداء الداعية الأول محمد ﷺ نداء تحبب وتأنيس وملاطفة؛ حيث جاء النداء بحالته ﷺ وعُبِّر عنه بصفته[٣١]، سواء أكان المراد من هذا الوصف ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾، معناه الظاهر، وهو أنه ﷺ كان متدثرًا بثوبه، أم كان مجازًا عن كونه مُتدثِّرًا بِدِثَارِ النُّبوّة والرِّسالة، كما يقال: ألبسَه اللهُ لباس التقوى، وزيّنه برداء العلم[٣٢].

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

والمدَّثِّر في اللغة: اسم فاعل من الفعل تدثَّر، وهو المتدرّع دِثَاره، يقال: دَثَّرْتُهُ فَتَدَثَّرَ، وتَدَثَّرَ بِالدِّثَارِ؛ تلفف به، وَالْأَصْل فِي مدثر متدثر فأدغمت التَّاء في الدَّال لتقارب مخرجيهما. والدِّثَار: ما يتدثر به الإنسان؛ وهو ما يُلقيه عليه من كساء أو غيره فوق الشِّعارِ؛ أي: الثوب الذي يلي الجسد(٣٣). ومن المجاز: الدَّثُور: الكَسْلانُ، والخامِلُ، يقال: رجل دثور؛ أي: خامل. وفلان دثاري؛ أي: كسلان ساكن لا يتصرف(٣٤).

يظهر مما سبق، أن التدثُّر لغة يُطلق ويُراد منه معناه الظاهر –وهو التغطي بالدِّثَار حقيقة– وقد يخرج عن الحقيقة إلى المجاز.

والنداء في الآية الكريمة وإن كان موجهًا للنبي ﷺ إلا أنه نداء شامل لكلَّ متدثّر بثوب العلم العظيم والخلق الرفيع، ولكلِّ مُتأسٍ به ومتابع له، ودعوة عامة لكل مَن تدثّر بدثار مادي أو دثار معنوي يحول بينه وبين الانطلاق بالدعوة إلى الله تعالى والاشتغال بها، كالخمول، والكسل، والتخفي عن الناس، والخوف على فوات مصلحة دنيوية من وظيفة أو مال، والطمع في وظيفة أو مال أو جاهٍ، والانشغال بالعيال والمال، وغير ذلك من الدُثُر المعنوية التي تُشغل صاحبها وتحجبه عن القيام بالدعوة إلى الله تعالى، فهو نداء لكل واحدٍ من هؤلاء **﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾**، ولعلّ في توجيه النداء والأمر لنبي الرحمة ﷺ وإمام الإنسانية دلالة أهمية أمر القيام بالدعوة من جهة، وعلو منزلة القائم بها ورفعة شأنه من جهة أخرى.

والفعل **﴿قُمْ﴾** مأخوذ من مادة (قوَمَ)، وهذه المادة تدل في أصل الوضع على الانتصاب والعزيمة، قال ابن فارس: قامَ قيامًا إذا انتصب، ويكون قامَ بمعنى العَزيمة، كما يقال: قامَ بهذا الأمر، إذا اعتنَقَه، وهم يقولون في الأوَّل: قيامٌ حتم، وفي الآخر: قيامٌ عَزْم(٣٥).

وتحت هذا الأصل معانٍ عدة تدور حول العزم والتصميم والثبات على الشيء، جاء في لسان العرب: القيام: نَقِيضُ الْجُلُوسِ. والقِيامُ: العَزْمُ، وَيَجِيءُ بِمَعْنَى الْمُحَافَظَةِ والإصلاح، والْوُقُوفِ وَالثَّبَاتِ، يقال: فُلَانٌ قَائِمٌ بِكَذَا إِذَا كَانَ حَافِظًا لَهُ مُتَمَسِّكًا بِهِ، وقَامَ فُلَانٌ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا ثَبَتَ عَلَيْهِ وَتَمَسَّكَ بِهِ، وأَقَامَ الشَّيْءَ: أَدامَه، وقَامَ الشيءُ واسْتَقَامَ: اعْتَدَل وَاسْتَوَى(٣٦).

والقيامُ الذي يأمر الله تعالى به هنا ليس مُستعملاً في معناه الحقيقي –الذي هو ضد الجلوس– وإنما هو مستعمل في الأمر بالمُبادرة والمسارعة والإقبال(٣٧).

ولعلّ التعبير بلفظ **﴿قُمْ﴾** دون غيره من الألفاظ يُشير إلى أن المطلوب من المُسلم بعد أن يتهيأ للدعوة ويُصبح أهلاً لها أن يُبادر بالعمل بها وأن يُسارع إلى تنفيذ هذا الأمر الإلهي بعزم وتصميم، وأن يَستمر في الإقبال عليه بهمّة ونشاط، دون كللٍ أو ملل.

ومجيء الفاء في قوله: **﴿فَأَنْذِرْ﴾**، فيه إشارة إلى وجوب الإسراع في إيقاع أمر الإنذار وتنفيذه بعد الاستعداد والتهيؤ له مُباشرة دون مهلة أو تردد(٣٨)، إذ إن التردد أو التكاسل وإرسال المهلة لا يتفق مع عظمة المأمور به، ولا يُناسبه؛ فهو أعظم الأمانات وأهم المهمات وأشرفها مكانة وأعلاها منزلة.

والسِّر في تخصيص الإنذار بالذكر دون التبشير –كما ذكر غير واحدٍ من المفسرين– أن الإنذار هو المناسب في بداية الدعوة، وله أثره العميق في إيقاظ القلوب الحائرة، وكانت حاجة الناس إليه إذ ذاك أكثر من حاجتهم إلى البشارة(٣٩)، وإلا فقد أُرسِل النبي ﷺ مُبشِّرًا ونذيرًا، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾**[الأحزاب: ٤٥].

ولعلّ في عدم تحديد المُنْذَرِ وَالْمُنْذَرِ بِهِ للفعل **﴿أَنْذِرْ﴾** دلالة على عموم الإنذار وشموله، فهو يعمُّ كلَّ مُؤهل للإنذار ومُكلف شرعًا، ويشمل كلَّ موضوع يُنذَر فيه، من عبادة غير الله تعالى، والإشراك به، ومخالفة أوامره، وانتهاك حرماته، وكلَّ

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4 8

ما يُنذر به مما يؤول إليه حال الجاحد المعاند، والمقصر بحقِّ الله تعالى كضنك الحياة، وعذاب القبر، وعذاب جهنم، وغير ذلك مما يترتب على الأعمال السيئة ويَصلح للإنذار به. ولا يُفهم من هذا أن المطلوب من الداعية هو الاقتصار على جانب النذارة فقط، وإنما المطلوب منه أن يراعي في ذلك حال المدعوين؛ فينذر حيث كانت النذارة هي الأصوب والأنفع، ويُبشِّر حيث كانت البشارة هي الأنفع والأصوب، وقد يكون الجمع بينهما هو الأصوب.

ثانيًا: استشعار عظمة الله تعالى.

الأساس الثاني من أسس الاشتغال بالدعوة هو استشعار عظمة الله تعالى، وتقديسه في القلب وفي القول والعمل، وتنزيهه عن النقائص، ووصفه بنعوت الكمال، وهو مأخوذ من قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾[المدثر: ٣]، والرَّب في الأصل مصدرٌ بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام والكمال، يقال: رَبَّهُ يَرُبُّه رَبًّا، ، وربّاه يربيه تربيَة، وربّاه ورَبَّبَهُ يربيه تربيبًا، كله بمعنى أصلحه(٤٠)، فالرّبُّ: المُصْلِح للشّيء، والله تعالى الرَّبُّ؛ لأنه مصلحُ أحوالِ خَلْقه، فهو السَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، والمالك لكلِّ شيءٍ، وله الربوبية على جميع الخلق، ولا يطلق على غيره تعالى إلا بالإضافة، فيقال: ربُّ الأسرة، وربُّ المال (٤١).

ولعلّ في التعبير هنا باسم الرَّب مع الإضافة إشارتين؛

الأولى: إلى ما له على الداعية ابتداء وعموم الخلق من حُسن التربية وإصلاح الأمور، وعظيم الإحسان، وفي هذا تنبيه على استحقاقه ﷻ التكبير والتعظيم.

والثانية: إلى الكرامة الحاصلة بالتكليف بهذه الدعوة، والمرتقبة بأدائها، والقيام بأعباء هذا التكليف على الوجه الذي يُرضيه تبارك تعالى.

والغرض من تقديم المفعول به ﴿**رَبَّكَ**﴾ على الفاعل ﴿**فَكَبِّرْ**﴾ إفادة التخصيص، أي: كبِّره وحدَهُ وخصّه بالتكبير دون غيره(٤٢)، وهو وصفَه تعالى بصفات التعظيم، وهذا يشمل توحيده بالإلهية، وتنزيهه عن الشريك، وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله، ويشملُ وصفه بصفات الكمال كلها، وذكره بأعظم صفاته، والثناء عليه باللسان بأقصى غايات المدح والبيان، ويشمل قول: (الله أكبر)؛ لأن هذه الكلمة تفيد وصفَ الله تعالى بأنه أكبر من كل كبير، وأجلّ وأنزه من كلِّ جليل(٤٣)، فالآية الكريمة توجِّه الداعية إلى تكبير ربّه، "فهو وحده الكبير، الذي يستحق التكبير. وهو توجيه يقرر جانبًا من التصور الإيماني لمعنى الألوهية، ومعنى التوحيد. إنّ كلّ أحد، وكلَّ شيء، وكلّ قيمة، وكلّ حقيقة.. صغير.. والله وحده هو الكبير.. وتتوارى الأجرام والأحجام، والقوى والقيم، والأحداث والأحوال، والمعاني والأشكال وتتمحي في ظلال الجلال والكمال، لله الواحد الكبير المتعال"(٤٤).

والداعية حينما يلتزم بهذا التوجيه الرباني يثبت على الحقِّ، وتهون عليه الصِّعاب، ولا يَعظُم في عينيه غير الله تعالى، ويصغُر في قلبه كلِّ شيءٍ دونه، فلا يخاف من أحدٍ، ولا يمنعه أحدٌ من الجبّارين والمتكبرين عن المُضي في دعوته؛ لأن جبروتهم وقوتهم لا تساوي شيئًا أمام عظمة الله تعالى، ومن هنا كان المطلوب منه أن يواجه نذارة الناس ودعوتهم" بهذا التصور، وبهذا الشعور، فيستصغر كلّ كيد، وكلّ قوة، وكلّ عقبة، وهو يستشعر أنَّ ربَّه الذي دعاه ليقوم بهذه النذارة، هو الكبير.. ومشاق الدعوة وأهوالها في حاجة دائمة إلى استحضار هذا التصور وهذا الشعور"(٤٥).

وقد أمر الله تعالى إمام الدعاة ﷺ –ومن تبعه– بحمده وتكبيره، فقال: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**﴾[الإسراء: ١١١].

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

ثالثًا: حُسن المظهر.

الأساس الثالث من أسس الاشتغال الدعوة ظهور الداعية أمام الناس بمنظر حسن، ومظهر جميل، لأن الظاهر هو أول ما يجذب العينين، وله أثرٌ في نفس الناظر والمشاهد، وهذا الأساس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر: ٤]، والثياب في اللغة الملابس التي يلبسها الإنسان؛ لستر جسده، مفردها ثَوب، وسُمي ثَوبًا؛ لأنه يُلْبَس ثم يُلبَس ويثاب إليه. وقد يُكنّى بالثِّيابِ عَنِ النَفْسِ، فيقال: فلانٌ طَاهِر الثَّوْب[٤٦].

والتطهير لغة مأخوذ من (طهر)، وهذه المادة تدل في الأصل على النقاءِ وزوالِ الدَنَس، يقال: طَهرَ الشيء –بضم الهاء وفتحها– يَطْهُرُ طَهَارَةً، وتطهّر إذا نَقِي من النَّجاسة والدَّنَس، فهو طاهر، والاسم الطُّهرُ؛ وهو النقاء من النّجس والدّنس[٤٧]، وقد يُطلق مجازًا على التنزه من الإثم، ومن مساوئ الأخلاق[٤٨].

يتضح مما سبق، أن لكلٍ من لفظي الثوب والتطهير استعمالٌ حقيقي، وآخر مجازي، ولذلك اختلفت عبارات المفسرين في المراد بكل منهما في الآية الكريمة، أهُما مستعملان في الحقيقة، والمراد تطهير الثّوب من النجاسة، أم في المجاز، والمراد بالثّـوب الجسد، والطهارة من الذنوب والآثام، أم أن أحدهما في الحقيقة والآخر في المجاز؟ فقد ذكر الخازن وغيره أقوال عدة، منها:

الأول: معناه اغسلها بالماء، وطهرها من النّجاسات والمستقذرات؛ وذلك أن المشركين لم يكونوا يحترزون عنها، فأمر الله تعالى بصون الثياب من النجاسات، وغيرها؛ خلافا للمشركين.

الثاني: معناه لا تلبس ثيابك إلا من مكسب حلال طيب.

الثالث: حمل الثوب على النفس، والمعنى ونفسك فطهر عن الذّنوب والرّيب وغيرهم وكنى بالثياب عن الجسد؛ لأنها تشتمل عليه.

والرابع: حمل الثّياب والتّطهير على المجاز، فقيل معناه: وقلبك فطهر عن الصّفات المذمومة، وقيل: معناه وخلقك فحسن، وقيل: لا تلبسها على معصية ولا غدر[٤٩].

وقد رجح الإمام الطبري، القول الأول[٥٠]، وقدمه الزمخشري، والبيضاوي، وأبو حيان[٥١]، ورأى ابن العربي المالكي جواز حمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وقال ما ملخصه: وإذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين: أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست، وهذه حالة الكبر وقائدة العجب. والثاني: غسلها من النجاسة؛ وهو ظاهر منها صحيح فيها[٥٢].

وقال علامة الرافدين الآلوسي بعد كلام: "وجوز أن يراد بالتطهير إزالة ما يستقذر مطلقًا، سواء النجس أو غيره من المستقذر الطاهر، ومنه الأوساخ، فيكون ذلك أمرًا له ﷺ بتنظيف ثيابه، وإزالة ما يكون فيها من وسخ وغيره من كل ما يستقذر، فإنه مُنفِّر لا يليق بمقام البعثة، ويستلزم هذا بالأولى تنظيف البدن من ذلك؛ ولذا كان ﷺ أنظف الناس ثوبًا وبدنًا، وربما يقال باستلزام ذلك بالأولى ـ أيضًا ـ الأمر بالتنزه عن المنفر القولي والفعلي، كالفحش والفظاظة والغلظة إلى غير ذلك فلا تغفل"[٥٣].

وذكر ابن عاشور أن الحقيقة والمجار صالحان في الآية الكريمة[٥٤]. وأورد الشنقيطي –في أضواء البيان– أقوال أئمة التفسير في الآية، ثم رجح ما رجحه الإمام الطبري، مُستندًا إلى سياق الآيات، ونص عبارته: "هذه أقوال المفسرين، واختيار ابن جرير منها، والواقع في السياق ما يشهد لاختيار ابن جرير، وهو حمل اللفظين على حقيقتهما، وترجيح قول ابن سيرين أن المراد طهارة الثوب من النجاسة، والقرينة في الآية أنها اشتملت على أمرين: الأول: طهارة الثوب، والثاني: هجر الرّجز. ومن

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4 10

معاني الرّجز: المعاصي، فيكون حمل طهارة الثوب على حقيقته، وهجر الرجز على حقيقته لمعنى جديد أولى"[٥٥]، وهذا ما تميل إليه النفس؛ لأنه الأصل في استعمال اللفظين، ولا قرينة لصرفهما عن ذلك، بل السياق يشهد لحمل كل منهما على معناه الظاهر.

وعلى هذا؛ فإن حُسن المظهر وجمال المنظر هو الحالة المناسبة للداعية، وهو ضرورة للتحرك بالدعوة، ومن ثَمَّ فإن المطلوب منه أن يظهر بمظهر يليق بوظيفته الجليلة ومهمته العظيمة، فيأخذ زينته عند كلِّ مكان يلتقي به مع جمهور من الناس، فيهتم بمنظره، ومظهره، ويكون ذلك بلبس أحسن ما يجد من الثياب النظيفة المتناسقة المنسقة المتوافقة مع جسده، المُكتسبة من الحلال الطيب، المُطيبة بما تيسر من الطيب، والتي تكسوه الهيبة والوقار، وتكسبه الرضا والقبول، من غير إسراف ولا مخيلة؛ لأن أناقة الداعية، واهتمامه بمظهره من عوامل تأثيره في نفوس المستمعين المشاهدين، ولا ينبغي لأي داعية أن يخرج إلى الناس بثياب قديمة متسخة، غير عابئ بنظراتهم إليه، وكلامهم عنه؛ لأن قذارة الثوب في الأعم الأغلب دالة على قذارة الجسد، وربما أشارت إلى فساد الداخل وقذارته، ومن كانت هذه حاله لم يكن عند كرام الناس أهلاً لأن يُخاطبهم ويحضر مجالسهم، يقول المراغي: "وقد استبان للمشتغلين بأصول التشريع وعلماء الاجتماع من الأوربيين أن أكثر الناس قذرًا في أجسامهم وثيابهم أكثرهم ذنوبًا، وأطهرهم أبدانًا وثيابًا أبعدهم من الذنوب" [٥٦].

وقد أمر الله تعلى بلبس أفخر الثياب والتي يظهر فيها التجمل والزينة عند كل عبادة فقال: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[الأعراف: ٣١]، ولا شك بأن الدعوة إلى الله تعالى عبادة من العبادات التي يُتجمل لها، ولا ينحصر أداؤها في مكان، ولكن المساجد من الأماكن التي تؤدى بها، والدعاة هم الأجدر بتنفيذ هذا الأمر والأولى بالالتزام به عند الالتقاء بجمهور من الناس ومخاطبتهم.

رابعًا: حُسن المَخبَر (الجوهر).

الأساس الرابع من أسس الاشتغال بالدعوة صفاء المَخْبَرِ وتنقيته من المعاصي والآثام الموصلة إلى عذاب الله تعالى وأليم عقابه؛ لأن الداعية ليس بمظهره الخارجي فحسب، وإنما بمظهره ومخبره، بل إن مَخبَره هو الأصل، وهو الحَكَم على شخصيته، وهذا الأساس مأخوذ من قوله تعالى: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾**[المدثر: ٥]، ولعلّ المناسبة في تقديم طهارة الثياب على هجر الرُّجز هي تقديم ما يظهر أمام الناس على ما خفي عنهم.

والرجز في أصل الوضع يدل على الاضطراب وتتابع الحركات، ويندرج تحت هذا الأصل معان عدة تدور حول هذا المعنى الأصلي، ومن ذلك؛ الرَّجَزُ: داءٌ يصيبُ الإبلَ أفخاذها ومؤخرهما عِنْد الْقيام، يُقال: رَجَزَ البعيرُ رَجَزًا، فهو أَرْجَزُ، وناقة رَجْزَاءُ: إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها. والرَّجَزِ من الشِّعر؛ لأنه مقطوع مضطرب. الرِّجزُ: العذاب، فهو مُقْلِق لشدَّته، وله قلقلَةٌ شديدةٌ متتابعة، وكلُّ عذابٍ أُنزل على قومٍ فهو رِجزٌ. والإثمُ والذنبُ رِجز، ووسواس الشَّيطان رِجزٌ، والقذر رِجز، والرِّجزُ: عبادةُ الأوثانِ، ويقال: اسم الشِّركِ كُلِّهِ رجز؛ لأن كلّ من عبد غير الله فَهُوَ على ريب من أمره واضطراب من اعْتِقَاده. والرُّجْز . بضم الراء . كالرِّجْز ومعناهما واحدٌ [٥٧].

يظهر مما سبق أن مادة الرجز في اللغة تدور حول الاضطراب وتتابع الحركات، وقد اختلف أئمة التفسير في معنى الرجز في هذه الآية، وذكروا أقوالاً متعددة، منها: الأصنام والأوثان، والإثم، والشرك، والذنب، والعذاب، والشيطان، والظلم[٥٨].

وهذه الأقوال وإن كانت متفاوتة، ولكنها مرتبطة بعضها ببعضها الآخر، وهي متقاربة، وصالحة في ظل الدلالة العامة للكلمة، فالشرك وغيره من المعاصي والذنوب والآثام تجعل صاحبها على ريب من أمره وتُسبب له الاضطراب، وتوصله إلى

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

عذاب شديد متتابع.

وفي لفظ ﴿الرُّجْزَ﴾ قراءتان الأولى بِضَم الرَّاء، والثانية بكسرها ﴿وَالرِّجز﴾، وهما قراءتان متواترتان[٥٩]، قال الإمام الطبري: "وهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، والضمّ والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد، ولم نجد أحدًا من متقدّمي أهل التأويل فرّق بين تأويل ذلك، وإنما فرّق بين ذلك فيما بلغنا الكسائيّ"[٦٠]. ونقل القرطبي عن أبي العالية والربيع والكسائي قولهم: "الرُّجز –بالضم– الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية. وذكر أن الكسائي قال: بالضم: الوثن، وبالكسر: العذاب[٦١].

وذهب الشيخ الشعراوي إلى أن الرِّجز –بالكسر– العذاب، والرُّجز –بالضم– المعاصي والآثام، فقال ما نصه: "هناك رِجْز، ورُجْز، والرِّجز يُولد من الرُّجز وينشأ ... اهجر الرُّجز؛ أي: المآثم والمعاصي والذنوب لتسلم من الرِّجز؛ أي: من العذاب"[٦٢].

وسواء أكان معناهما واحدٌ أم كان لكلٍّ منهما معنى فلا يخرج ذلك عن المعنى الأصلي الذي أفادته الكلمة، وعلى الداعية أن يأخذ حظه من الالتزام بهداية القراءتين وتوجيههما، فيهجر الرُّجز –بالضم– لينجو من الرِّجز –بالكسر– ويسلم من الاضطراب والتزلزل.

والهَجْرُ: ضِدُّ الوصل، يُقال: هَجَرَه يَهْجُره هَجْرًا، وهِجْرانًا، قَطَعه وصَرَمَه. وهَجَرَ فلان الشيءَ يَهْجُره هَجْرًا: تَرَكَه وأَغْفَله واَعْرَض عَنهُ، والتّهاجر: التّقاطع[٦٣]. والهَجْرُ والهِجْرَان: "مفارقة الإنسان غيره، إمّا بالبدن، أو باللّسان، أو بالقلب"[٦٤].

وعلى هذا فالهجر لغة معناه المقاطعة والمفارقة بالجسد، واللسان، والقلب، وهو في الآية الكريمة –كما يقول ابن عاشور– كناية عن ترك التلبس بالأحوال الخاصة بأنواع الرّجز لكلِّ نوع بما يُناسبه في عُرف الناس، والأمر بهجر الرُّجْزِ يستلزم أن لا يعبدَ الأصنام، وأن تنفي عنها الإلهية"[٦٥].

ولم يكن النبي ﷺ مُتلبسًا بأي شيءٍ مما يحتمله لفظ الرُّجز، فقد كان ﷺ بريئًا من كلِّ ذلك حتى قبل النبوة، "فلم يعرف عنه أنّه شارك في شيءٍ من خَوْض الجاهلية، ولكن هذا التوجيه يعني المفاصلة وإعلان التميز الذي لا صلح فيه ولا هوادة. فهما طريقان مفترقان لا يلتقيان. كما يعني التحرز من دنس هذا الرجز"[٦٦].

وهذا التوجيه الرّباني وإن كان موجهًا للنبي ﷺ وجاء؛ ليكون أحد أسس الاشتغال بالدعوة إلى الله، إلا أنه ليس مقصورًا عليه ﷺ ولا خاصًا به، وإنما يشمل كلّ مَنْ اقتفى أثره وسار في ركب دعوته، فهو ﷺ الأسوة الحسنة؛ ولذا فإن على الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ وأن يعمل بهذا التوجيه القرآني، ومن مستلزمات ذلك أن يحرص على صفاء مخْبَره، وأن يجتهد في تنقية باطنه، وذلك بمقاطعة الذنوب والمعاصي والآثام الموصلة إلى العذاب الدنيوي والأخروي، ومفارقة صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها مفارقة تامة، بالقلب والبدن واللسان، وأن يتحرز من التلبس في دنس الرّجز والوقوع في أي نوع من أنواعه؛ لأنه متى طَهُرَ من كلِّ ذلك حَسُنَ خُلقه، واستقام في عمله، واستعد للإفاضة على المدعوين، وحظي بثقتهم ونال احترامهم، وأقبلوا بإصغاء وشوق إلى سماع قوله وقبول نصيحته.

خامسًا: مُواصلة العمل الدعوي ومتابعته.

الأساس الخامس من أسس الاشتغال بالدعوة هو مُواصلة الداعية لعمله الدعوي ومُتابعته دون انقطاع، والحذر من الوقوع في المنِّ أو الاستكثار؛ لأن المنَّ داء يُصيب العمل فيفسده، والاستكثار داءٌ قد يورث الغرور والعُجْب فيقعد بصاحبه، ويُذهب بركة عملة. وهذا الأساس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثر: ٦]، والمنِّ في اللغة يدل على معانٍ، منها: القطع والانقطاع، يقال: مَنَّ الحَبْلَ يَمُنُّه مَنًّا، إذا قَطَعَهُ. وحَبل مَنينٌ؛ أي: مَقْطُوعٌ. ومنها: الضعف والنقص: يقال: مَنَّه

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4

السَّيْرُ يَمُنُّه مَنًّا: أَضعفه وأَعياه. ومَنَّه يَمُنُّه مَنًّا: نَقَصَهُ. وسمي الموت بالمَنُونُ؛ لأَنه يَمُنُّ كلَّ شَيْءٍ يُضْعِفُهُ وَيُنْقِصُهُ وَيَقْطَعُهُ. ومنها: اصطناع الخير، يقال: مَنَّ عَلَيْهِ يَمُنُّ مَنًّا، إذا أَحسَنَ إليه وأَنعم، وَالِاسْمُ المِنَّةُ. ومَنَّ عَلَيْهِ وامْتَنَّ وتمَنَّنَ: قَرَّعَه بِمِنَّةٍ[٦٧].

وذكر الراغب الأصفهاني أن المِنَّةُ تطلق على النّعمة الثّقيلة، وأن ذلك يقال على وجهين: الأول: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: المِنَّةُ تهدم الصّنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة [٦٨].

يظهر مما تقدم أن المنَّ يطلق في اللغة ويراد منه القطع والانقطاع، أو الضعف والنقص، أو الإنعام على الغير والإحسان إليه، ثم يُطلق على عدّ الإنعام على المُنعَم عليه وتذكيره به.

والاستكثار لغة من كثر، وهذه المادة تستعمل للدلالة على نقيض القِلّة، قال ابن فارس: "الكاف والثاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ خِلاف القِلّة"[٦٩]. ومنه الشَّيء الكثير. والكثر: معظم الشيء وأكثره، يقال: كَثُرَ الشَّيْءُ يَكْثُرُ كَثْرَةً فَهُوَ كَثُرٌ وكثيرٌ. واستكثر من الشَّيْءِ إِذَا أَكْثَرَ فِعْلَهُ، واستكثر منه إذا رغب فِي الْكثير مِنْهُ، وَاسْتَكْثَرَه عَدّه كَثِيرًا [٧٠].

ولأئمة التفسير في المراد من هذه الآية الكريمة أقوال كثيرة، منها:

الأول: لا تُعْطِ عطية لتعطى أكثر منها، وهو معزو إلى ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وطاووس، والضحاك، وغيرهم.

الثاني: ولا تمنن بعملك على ربك تستكثره، وهو معزو إلى الحسن البصري، والربيع بن أنس.

الثالث: لا تضعف أن تستكثر من الخير، وهو معزو إلى مجاهد، وهذا من قولهم: حبل منين: إذا كان ضعيفًا.

الرابع: لا تمنن بالنبوّة على الناس، تأخذ عليه عِوَضًا من الدُّنْيَا، وهو معزو إلى ابن زيد [٧١].

وقد اختار ابن كثير القول الأول، وقدّمه غير واحدٍ من المفسرين، بل ذكر الفخر الرازي أنه قول أكثر المفسرين[٧٢]، واستظهره القرطبي؛ فبعد أن أورد أحد عشرَ قولاً في الآية الكريمة، عقب قائلاً: "هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها قول ابن عباس: لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال، يقال: مننت فلانًا كذا؛ أي: أعطيته. ويقال للعطية المنَّة، فكأنه أمر بأن تكون عطاياه لله، لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها، لأنه ﷺ ما كان يجمع الدنيا"[٧٣].

وقد عد ابن العربي المالكي هذا القول غير لائق بمقام النبي ﷺ ولا مُناسب لمرتبته[٧٤].

ورجح الإمام الطبري القول الثاني، وقال: "لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله بنيه بالجدّ في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها"[٧٥]، وعدّه ابن العربي قولاً صحيحًا، ونص عبارته: " مَن قال أراد به العمل؛ أي: لا تستكثر به على ربِّك فهو صحيح؛ فإن ابن آدام لو أطاع الله عُمْرَهُ من غير فتور لما بلغَ لِنِعَمِ الله بعض الشُّكْرِ "[٧٦].

وجوز أبو بكر الجصاص حمل اللفظ على عمومه، فبعد أن ذكر الأقوال الأربعة السابقة، قال ما نصه: "هذه المعاني، كلها يحتملها اللفظُ، وجائزٌ أن يكون جميعها مُرادًا به، فالوجه حملهُ على العموم في سائر وجوه الاحتمال"[٧٧].

وبمثل هذا القول قال صاحب الأساس في التفسير، حيث أورد أقوال أئمة التفسير في الآية، وذكر أن فيها توجيهًا للرسول ﷺ في مقام الإنذار، ثم قال: "فكل ما يدخل تحت اللفظ ـ مما له علاقة بالإنذار ـ مراد به، فالاستشراف للمكافأة والزيادة والاستشراف لما في أيدي الناس، واستكثار العمل لله والمنة على الله به والمنة على الناس بسبب النبوة لمعنى دنيوي، كل هذه المعاني مما ينبغي أن يلاحظها الداعية وهو يقوم بعملية الإنذار " [٧٨].

والظاهر –والله أعلم– أن الأقوال المذكورة في الآية الكريمة محتملة، وهي صالحة في ظل الدلالة العامة للفظ، وكل قول منها يُعطي الداعية جانبًا عمليًا تطبيقيًا، وعليه أن يأخذ حظه من الالتزام به؛ وعلى هذا فالآية توجه الداعية إلى استصغار عمله وجهده، وعدم المنِّ على الله ولا على الناس به؛ لأن الامتنان يؤدي إلى الاستكثار، وهذا مما يحبط العمل ويزيل النِّعمة أو يقلل من قيمتها، ولذا ينبغي عليه أن يحمد الله على اختياره لهذا العمل، وأن يُقدم الخير للناس سواء أكان ذلك في الجوانب المادية كالعطاء والتصدق والإنفاق، أم في الجوانب المعنوية كالتعليم والتبليغ والإرشاد إلى ما يُرضي الله تعالى من الأقوال والأعمال، دون أن يَمنَّ عليهم بما قدّم لهم، أو يرى لنفسه فضلاً عليهم، أو يستشرف للمكافأة والزيادة أو ينتظر منهم مُقابلا ماديًا أو معنويًا كالمدح والثناء.

والدعوة إلى الله تعالى تستحق الكثير من البذل والعطاء، والداعية الصادق الصدوق يُوقن أن رسالته عظيمة ومهمته كبيرة، ويُدرك أنه سيقدم ما في وُسعه، ويبذل الغالي والنفيس، ويلقى المزيد من الجهد والتضحية والعناء، والله تعالى يُريد منه . كما يقول سيد قطب ." ألا يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به. وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيها. فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه. بل حين لا تستشعره من الأصل لأنها مستغرقة في الشعور بالله شاعرة بأن كل ما تقدمه هو من فضله ومن عطاياه. فهو فضل يمنحها إياه، وعطاء يختارها له، ويوفقها لنيله. وهو اختيار واصطفاء وتكريم يستحق الشكر لله. لا المن والاستكثار" [٧٩].

سادسًا: الصبر لوجه الله تعالى.

الأساس السادس من أسس الاشتغال بالدعوة الصبر ابتغاء مرضاة الله تعالى، إذ دونه لا يستطيع الداعية بلوغ غايته وتحقيق آماله وأهدافه، ولا تجاوز ما يعترضه من عقبات، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾[المدثر: ٧]، وقد ذكرت فيما تقدم معنى الرّب بما يُغني عن إعادته هنا، ومن أسرار التعبير هنا عن الله تعالى بوصف (رَبِّكَ) إشارة إلى أن هذا الصّبر برٌّ بالمولى تعالى وطاعته له[٨٠]، وهو نوع من وفاء الداعية لله تعالى، وإظهار نعمته وامتنانه عليه.

ولعلَّ في تقديم الجار والمجرور (**لِرَبِّكَ**) على الفعل فائدتين: الأولى: الاهتمام بالأمور التي يصبر لأجلها[٨١]. والثانية: الاختصاص[٨٢]؛ أي: تخصيص الله تعالى بالصّبر وجعله خالصًا لوجهه الكريم، فلا تشوبه شائبةٌ، ولا يخالطه رياءٌ، وهذا هو الصّبر المحمود، وهو المطلوب لا سواه، وهو الذي يُدخل صاحبه في زمرة أولي اللباب الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[الرعد: ٢٢].

والصّبر في اللغة يدل في الأصل على الحَبْس، يقال: صَبَرَ فلانٌ فلانًا عن الشَّيءِ يَصْبِرُه صَبْرًا إذا حَبَسَه، وصبر نفْسَه: حبسها ومنعها. ومنه: قُتِل فلانٌ صَبْرًا وحُلِّف صَبْرًا، إذا حُبِس، وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه. والصَّبر: حَبْس النَّفْسِ عِنْدَ الجزَع، وَقَدْ صَبَرَ فُلَانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صبرًا، وصَبَرْتُه أَنا: حَبَسْته. والتَّصَبُّرُ: تكلُّف الصَّبْرِ. ويقابل الصّبر الجَزَع، يقال: صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا إذا تجلد ولم يجزع، صَبر على الْأَمر احتمله وَلم يجزع[٨٣]. ومن هذا التقابل قول الذين كفروا يوم القيامة: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾[إبراهيم: ٢١].

وللعلماء في معناه اصطلاحًا تعريفات كثيرة، منها قول الراغب الأصفهاني: "هو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه"[٨٤]. ومنها قول السمين الحلبي: "هو حبس النفس عن الشهوات وعلى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات"[٨٥]. ومنها قول مَنْ قال: هو حبس النَّفْس على احتمال ما تكره[٨٦].

وهذا التعريف على غاية وجازته إلا أنه –فيما يظهر لي– دالٌّ على المقصود، وشامل لأنواع الصّبر؛ فهو –أي: الصبر– على ضربين: أحدهما: نفسي، وهو حبس النّفس عن مُشتهيات الطبع ومُقتضيات الهوى. والثاني: بدنِيٌّ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها، أو بالاحتمال كالصَّبر على المرض الشديد، والآلام العظيمة والجراحات الهائلة(٨٧)، سواء أكانت مادية عن طريق الضرب أو التعذيب أم كانت معنوية عن طريق القول كالسخرية والاستهزاء والقبيح من الكلام.

وللمفسرين في الصّبر المأمور به في الآية الكريمة أقوال عدة أنهاها الماوردي إلى سبعة أقوال؛ أحدها: الصّبر على الأذى والمكروه، والثاني: على محاربة العرب ثم العجم، والثالث: على الحقِّ، والرابع: على العطية لله تعالى، والخامس: على الوعظ لوجه الله تعالى، والسادس: على انتظام ثواب العمل من الله تعالى، والسابع: على ما أمر الله تعالى من أداء الرسالة وتعليم الدين(٨٨).

وقد جاء لفظ الصّبر في الآية مُطلقًا غير مُقيّد بمُعين، والأولى أن يُحمل على العموم والشمول لكلِّ مصبور عنه، ومصبور عليه، وهذا ما اختاره غير واحدٍ من المفسرين، فعلى سبيل المثال أورد العلامة المحقق الآلوسي أقوالاً في الآية، ثم قال ما نصه: "والوجه ـ كما قال جار الله ـ أن يكون أمرًا بنفس الفعل والمعنى لقصد جهته تعالى وجانبه ﷻ فاستعمل الصبر، فيتناول –لعدم تقدير المتعلق المفيد للعموم– كل مصبور عليه ومصبور عنه"(٨٩).

وهذا الذي ذكره الآلوسي يشمل أنواع الصّبر، ويجمع كلَّ ما ذُكِر في الآية الكريمة من أقوال، والصّبر بهذا المعنى العام والمقرون بابتغاء وجه الله تعالى وطلب رضاه أساس من أسس الدعوة إلى الله تعالى، وهو ضرورة لازمة للداعية؛ فهو زاده وعدّته الأصيلة في التزامه بأوامر الله تعالى، ومواجهة شهوات نَفْسه وحظوظها الدنيوية من جانب، وفي تحركه الدعوي وتعامله مع المدعوين على اختلاف فئاتهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وأجناسهم، وما يحفُّ بذلك من المِحَنِ والمشاق والآلام البدنية والنفسية من جانب آخر.

ومما يدل على أهمية الصّبر وكونه ضرورة لازمة للداعية –على وجه الخصوص– أن الله تعالى أوصى الرسول ﷺ وهو إمام الدعاة بالصّبر في غير ما آية من آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: **﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾**[يونس: ١٠٩]، وقوله: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾**[الأحقاف: ٣٥]، وقد أمر الله تعالى بالصّبر بعد بيانه الطريقة المُثلى في الدعوة إلى سبيله فقال: **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾**[النحل: ١٢٧]، وبعد وصية لقمان لابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوصاه أن يتزود بزاد الصّبر، فقال: **﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [لقمان: ١٧]، وفي ذلك إشارة إلى أن القائم بالعمل الدعوي سيلقى صدودًا وإعراضًا، وسيتعرض لأذى مادي أو نفسي، ولا سبيل له في الاستمرار والمواصلة في هذا العمل الجليل إلا أن يعتمد على هذا الأساس –أعني الصبر الذي يُبتغى به وجه الله تعالى– وأن يأخذ منه بحظٍّ وافر؛ لأنه إذا قلَّ حظُّه منه فلن يمضي بهذا العمل، ولن يتحمّل أعباءه وتكاليفه، وربما يقعد عن التحرك به.

الخاتمة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وإعانته تكتمل الأمور، وبعد أن وفقني الله تعالى لإتمام هذا البحث لا يسعني إلا أن أسجل النتائج التي توصلت إليها في النقاط الموجزة الآتية:

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

١) إن الدعوة إلى الله تعالى في هذا العصر ليست مجرد تبليغ، ولا محصورة في غير المسلمين، بل تشمل إمالة غير المسلمين إلى الإسلام، وتعليمه لمن أسلم منهم، وتشمل إمالة العصاة من المسلمين إلى التوبة وحثهم على الالتزام بتعاليم هذا الدين في حياتهم.

٢) لم تكن دعوة النبي ﷺ مجرد تبليغ فقط، وإنما كانت شاملة للتبليغ، والبيان والتعليم، والتطبيق العملي.

٣) المراد بأسس الدعوة إلى الله الأصول المعنوية التي بُنيت عليها الإمالة بالناس إلى الإسلام وحثهم على تعلُّمه وتعليمه وتطبيقه في واقع حياتهم.

٤) إن سورة المدثّر تتمحور حول الإنذار؛ من حيث الأمر بالصدع به وما يُعين على القيام به خير قيام، ومن حيث ما فيها من آيات بينت ما يُنذر به من العذاب الإلهي، وذكر صفات المعرضين عن الإنذار وبعض صفاتهم، وآيات تُشير إلى صفات المنتفعين بالإنذار، وتُرغِّب بقبول هذا الإنذار وتحضُّ عليه.

٥) إن أول ما نزل على النبي ﷺ من أوامر التبليغ والإنذار هو صدر سورة المدثر، وبهذا تكون الأسس التي تضمنتها هذه الآيات هي الأسس التي قامت عليها الدعوة الإسلامية، وهي المنهج الأصيل الذي لا يتبدل تأخر الزمان أو تقدم.

٦) إن الواجب على المُسلم –بعد أن يتهيأ للدعوة ويُصبح أهلاً لها– أن يُبادر بالعمل بها، وأن يَستمر في الإقبال عليه بهمّة ونشاط، دون كللٍ أو ملٍ.

٧) تنحصر أسس الدعوة التي تضمنها آيات صدر سورة المدثر بالقيام بالدعوة بغاية الجد والاجتهاد، واستشعار عظمة الله تعالى، وجمال المظهر، وحُسن المَخبَر، ومُواصلة العمل الدعوي ومتابعته، والصبر ابتغاء مرضاة الله تعالى.

٨) إن طريق الدعوة شاق وطويل، ولا بدَّ للداعية من طول النَّفَس، والصبر على الأذى، وعدم استعجال النتيجة، فما عليه إلا البلاغ المُبين، وأجره مرتبط بالبلاغ لا بالنتيجة؛ لأن الاستجابة أمر الله تعالى وليست لأحد من البشر.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رُشدنا، وأن يجعلنا هداة مهديين، لا ضالين ولا مُضلين.

وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين

الهوامش.

(١) أبو الحسين أحمد ابن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج١، ص١٤.

(٢) محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، (ت ٧١١هـ) **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، (ط٣)، ج٦، ص٦.

(٣) شهاب الدين أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، (ت ٧٥٦ هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، (ط١)، ج١، ص٨٩.

(٤) مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، (ت ٨١٧هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج٢، ص٨٨. وعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، (ت ١٠٣١هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠م، (ط١)، ص٦٦.

(٥) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص٢٧٩.

(٦) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، (ت ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، (ط١)،

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4 16

ج٢، ص ص٣٢٥- ٣٢٦. وابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص ص٢٥٨-٢٥٩.

(٧) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م، ج١٥، ص ١٥٧.

(٨) حسن عيسى عبد الظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، قطر، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ، (ط١)، ص٢٦.

(٩) محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، (ط٣)، ص١٧.

(١٠) ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، (ت ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤م، ج٢٨، ص٢٠٩.

(١١) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، **الدر المنثور**، بيروت، دار الفكر، ج٨، ص٣٢٤. ومحمد بن علي الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ، (ط١)، ج٥، ص٣٨٨.

(١٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٢٩١.

(١٣) ينظر مثلاً: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، (ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، (ط١)، ج٥، ص٣٩٢. وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ، (ط١)، ج٤، ص٣٥٨. وأبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م، (ط٢) ج١٩، ص٥٩. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٢٩١.

(١٤) للمزيد حول التشابه بين السورتين ينظر مثلاً: إبراهيم بن عمر بن حسن البِقاعيّ، (ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ج٢١، ص٤٣. والآلوسي، **روح المعاني**، ج١٥، ص ١٢٨.

(١٥) الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٤٨٨.

(١٦) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٢١، ص٣٩. وله، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ**، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٨٧م، (ط١)، ج٣، ص١٣٥.

(١٧) سيد قطب إبراهيم حسين، (ت ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القرآن**، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ، (ط١٧)، ج٦، ص ص٣٧٥٢-٣٧٥٣.

(١٨) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٣.

(١٩) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٣.

(٢٠) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٣.

(٢١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص ص٣٧٥٣-٣٧٥٤.

(٢٢) البخاري، **صحيح الإمام البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، حديث رقم: (٤٦٣٨)، ج٤، ص١٨٧٤. ومسلم، **صحيح الإمام مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، حديث رقم (٢٥٧)، ج١، ص١٤. واللفظ للبخاري.

(٢٣) **صحيح الإمام البخاري**، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به الرسول ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم: (٤٦٣٨)، ج٤، ص١٨٧٤. و**صحيح الإمام مسلم**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، حديث رقم(٢٥٢)، ج١، ص١٤٣. واللفظ للبخاري.

(٢٤) محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ، (ط٢)، ج٢، ص٢٠٧.

(٢٥) أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، (ط١)، ج٨، ص ص٢٦١- ٢٦٢.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

(٢٦) أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، (ط١)، ج١، ص ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢٧) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٠٨.

(٢٨) شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، (ط١)، ج١٥، ص ١٢٨. وينظر: ج١٣، ص١١١، ج١٥، ص٤٠٠.

(٢٩) البخاري، **صحيح الإمام البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، كتاب التفسير، باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، حديث رقم(٤٦٧١)، ج٤، ص١٨٩٥. ومسلم، **صحيح الإمام مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، حديث رقم (٢٥٥)، ج١، ص١٤٣. واللفظ للبخاري.

(٣٠) ينظر: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٢، ص٢٠٧.

(٣١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٩، ص٦١.

(٣٢) للمفسرين في سبب وصف النبي ﷺ بالمُدثِّر قولان: أحدهما: المدثر بثيابه، واختلفوا في سبب تدثره في ثيابه. والثاني: ليس المراد التدثر بالثياب، فحملوا اللفظ على غير الظاهر، وذكروا في ذلك وجوه عدة. للاستزادة ينظر مثلاً: أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي، (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط٣)، ١٤٢٠هـ، ج٣٠، ص ص٦٩٦-٦٩٧.

(٣٣) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ، (ط١)، ص٣٠٨. والسمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ، ج٢، ص٥. وأحمد بن محمد بن علي الفيومي، (ت ٧٠٧ هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت، المكتبة العلمية، ص١٨٩. والمناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص١٦٤.

(٣٤) محمود بن عمرو الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، (ط١)، ج١، ص٢٧٩.

(٣٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٥، ص٣٦.

(٣٦) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص ص٤٩٧-٥٠٧.

(٣٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٢٩٤.

(٣٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٢٩٤. ومحمد سيد طنطاوي، (ت ١٤٣١هـ)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة، ، دار نهضة مصر للطباعة، ١٩٩٨م، (ط١)، ج١٥، ص١٧٤.

(٣٩) ينظر مثلاً: أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي، (ت ١٠٦٩هـ)، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ على تفسير البيضاوي**، بيروت، دار صادر، ج٨، ص٢٧٠. والآلوسي، **روح المعاني**، ج١٥، ص١٣٠.

(٤٠) الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٣٣٦. والسمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٢، ص٦٠.

(٤١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص٣٨١. وابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٣٩٩.

(٤٢) ينظر مثلاً: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، (ط٣)، ج٤، ص٦٤٥. وناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، (ت ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ط١)، ١٤١٨هـ، ج٥، ص٢٥٩.

(٤٣) ينظر: القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي، (ت ٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، (ط٣)، ج٤،

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4

ص٣٣٩. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٢٩٦.

(٤٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٤.

(٤٥) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٤.

(٤٦)ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج١، ص٣٩٥. وابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٤٥.

(٤٧) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص٤٢٨. والفيومي، **المصباح المنير**، ج٢، ص٣٧٩.

(٤٨) ينظر: الزمخشري، **أساس البلاغة**، ج١، ص٦١٦.

(٤٩) علاء الدين علي بن محمد الخازن، (ت ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، (ط١)، ج٤، ص٣٦٢. وينظر مثلاً: محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١١ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (ط١)، ج٢٣، ص ص٩-١٢. وابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج٤، ص٣٥٩.

(٥٠) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٣، ص١٢.

(٥١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٤٥. والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٥، ص٢٥٩. وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، ص٣٦٢.

(٥٢) ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج٤، ص ص٣٤٠-٣٤١.

(٥٣) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٥، ص١٣٢.

(٥٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٢٩٧.

(٥٥) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج٨، ص ص٣٦١-٣٦٢.

(٥٦) أحمد بن مصطفى المراغي، (ت ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، مصر، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م، (ط١)، ج٢٩، ص١٢٦.

(٥٧) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦، ص٦٦. وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص٤٨٩، الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٣٤١. وابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٣٥٢.

(٥٨) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج٤، ص٣٦٠. والماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص١٣٧.

(٥٩) ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، **حجة القراءات**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٧٣٣.

(٦٠) الإمام الطبري، **جامع البيان**، ج٢٣، ص١٢.

(٦١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٩، ص٦٧.

(٦٢) محمد متولي الشعراوي، (١٤١٨هـ)، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، ج٧، ص٤٤٠٤.

(٦٣) ابن فارس، **معجم مقاييس**، ج٦، ص٣٤. وابن منظور، **لسان العرب** ج٥، ص ص٢٥٠-٢٥٢. والزبيدي، **تاج العروس**، ج١٤، ص٣٩٦.

(٦٤) الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٨٣٣.

(٦٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٩/ ٢٩٨).

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 14 [2018], Iss. 3, Art. 4

(٦٦) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٥.

(٦٧) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٢٦٧. وابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص ص٤١٥-٤١٧.

(٦٨) الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٧٧٧.

(٦٩) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص١٦٠.

(٧٠) الفيومي، **المصباح المنير** ج٢، ص٥٢٦. والزبيدي، **تاج العروس**، ج١٤، ص١٨.

(٧١) ينظر: الإمام الطبري، **جامع البيان**، ج٢٣، ص ص١٣-١٦. وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٣٩٣. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص٢٦٤.

(٧٢) ينظر: الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٧٠٠.

(٧٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٩، ص٦٨.

(٧٤)ابن العربي المالكي، **أحكام القرآن**، ج٤، ص٣٤٢.

(٧٥) الإمام الطبري، **جامع البيان**، ج٢٣، ص١٦.

(٧٦) ابن العربي المالكي، **أحكام القرآن**، ج٤، ص٣٤٢.

(٧٧) أحمد بن علي الحنفي أبو بكر الرازي الجصاص، (ت ٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد القمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ج٥، ص٣٦٩.

(٧٨) سعيد حوّى، (ت ١٤٠٩هـ)، **الأساس في التفسير**، القاهرة، دار السلام، ١٤١٤هـ، (ط٦)، ج١١، ص٦٢٣٠.

(٧٩) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧٥٥.

(٨٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٠٠.

(٨١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٠٠.

(٨٢) ينظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف شهاب الدين السمين الحلبي، (٧٥٦هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، ج١٠، ص٥٣٨.

(٨٣) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص٣٢٩. وابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص ص٤٣٨-٤٣٩. وأبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي**، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ص٢٠٦.

(٨٤) الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٤٧٤.

(٨٥) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٢، ص٣١٥.

(٨٦) النسفي، **مدارك التنزيل**، ج١، ص٥٠١. وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٣٣٨. والخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٩٣. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٢١.

(٨٧) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد بسيوني، جامعة طنطا، كلية الآداب، ١٩٩٩م، (ط١)، ص٢١٠. وأبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، ج٤، ص ص٦٦-٦٧. والفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص١٣٠.

(٨٨) الماوردي، **النكت والعيون**، ج٦، ص١٣٨.

(٨٩) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٥، ص١٣٤. وينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٤٦.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol14/iss3/4